مجلة الحوار الفكري ISSN: 1112-5144
مجلد: 19 عدد: 02 السنة 2025 EISSN2600-6332

الدينامية الحضرية لمدينة بوتلميت وتحديات التنمية الترابية

Urban Dynamics of the City of Boutilimit and Territorial Development Challenges

د. محمد الأمين عابدين– باحث في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا.

تاريخ الارسال: 2025/09/30 تاريخ القبول: 2025/10/15 تاريخ النشر: 2025/12/28

الملخص:

يعالج هذا المقال إشكالا بالغ الأهمية يتعلق بنمو مدينة ثانوية، شهدت أدوارا تاريخية منها ما هو ثقافي وسياسي واقتصادي، وعرفت في وقت لاحق تحولات على مستوى مجالها الحضري ابتداءً من السنوات التي رافقت موجات الجفاف، حيث نزحت إليها أعداد كبيرة من سكان الأرياف دون أن تكون المدينة مؤهلة لاستقبالهم من حيث الخدمات المختلفة؛ مما نتج عنه عديد المشكلات التي ظهرت بجلاء في مجال السكن العشوائي والتمدد الفوضوي للمجال الحضري وانعدام مخطط للمدينة واضح المعالم، وغياب بنبات تحتية في مجال الصرف الصحي، وانتشار ظاهرة النفايات الصلبة، إضافة إلى مشكلات الضغط على المرافق العمومية وتزايد أعداد العاطلين؛ وهو ما يفرض على الفاعلين التدخل من أجل بناء استراتيجية تنموية شمولية ومتناسقة تتجاوز الإكراهات والإخفاقات السابقة.

الكلمات المفتاحية: الدينامية، المدينة، التنمية الترابية، المجال، بوتلميت.

Abstract :

This article addresses a critically important issue related to the growth of a secondary city, which has historically played cultural, political, and economic roles. In later years, the city experienced transformations in its urban space, beginning in the decades marked by drought waves (the 1970s, 1980s, and 1990s). Large numbers of rural inhabitants migrated to the city, which was ill-prepared to accommodate them in terms of essential services. This led to numerous challenges, most notably in the form of informal housing, chaotic urban expansion, the absence of a clear urban planning framework, lack of sewage infrastructure, the proliferation of solid waste, as well as increased pressure on public facilities and a rise in unemployment. These conditions demand urgent intervention from various stakeholders to establish a comprehensive and coordinated development strategy

that overcomes past constraints and failures.

Keywords: Dynamics, City, Territorial Development, Field, Boutilimit.

مقدمة

شهدت المدُن الموريتانية عامة وبوتلميت خاصة مسلسلا حضريا متسارعا على غرار أغلب مدن العالم الثالث، وقد كانت لحركية التمدين انعكاسات جمة على مختلف الأصعدة؛ حيث نتج عنها زيادة مطّردة لأعداد السكان في المراكز الحضرية والريف المستقر، وتراجع مستمر للبدو الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي وما يتطلبه من تنقل؛ إلا أن التغيرات السوسيومجالية التي طرأت خلال العقود الأخيرة أدت إلى تداعي ركائز هذه الحياة، فوجد هؤلاء السكان أنفسهم أمام خيارين: إما الهجرة إلى المدن بحثا عن مصدر عيش جديد، وإما التجمع والتكتل حول نقاط المياه أو على جنبات المحاور الطرقية.

وهكذا، بدأ سكان المنطقة يهجرون حياة البداوة والترحال، ويتجهون إلى حياة المدن والاستقرار، فتجمعوا في المراكز الحضرية أو في مراكز صغيرة بالريف المستقر تحت تأثير الهجرة؛ فتحول المجتمع في المنطقة من مجتمع يغلب عليه الرّحل إلى مجتمع يغلب عليه المستقرون.

وقد حدثت كل هذه التغيرات دون أن تكون التهيئة الحضرية قد عرفت طريقها إلى المراكز الحضرية؛ مما أضاف تعقيدات جديدة إلى واقعها الأصلي الذي لم يضع أصحابه في الحسبان انعكاسات النمو الحضري على السكان وتوزيعهم عبر المجال.

وفي هذا الصدد، تشكو مدينة بوتلميت من عدة اختلالات أفرزتها مختلف التحولات المجالية والسوسيواقتصادية التي عرفتها خلال العقود الأخيرة؛ حيث شهدت هذه المدينة تطورا ديموغرافيا ونموا حضريا متسارعا بسبب حركة الهجرة من جهة والزيادة الطبيعية للساكنة المحلية من جهة أخرى، وقد أدت هذه الوضعية –في نهاية المطاف– إلى إنتاج مجال حضري غير منظم تطبعه العشوائية والفوضوية والارتجالية.

1. إشكالية الدراسة

عرفت مدينة بوتلميت مجموعة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية، أسهمت فيها عدة عوامل أهمها عامل الجفاف وتراجع نصيب الفرد من المجال الريفي من الاستثمارات العمومية؛ وهو ما جعل هذه المدينة قبلة للسكان الذين توافدوا إليها من مختلف جهات الوطن دون أن تهيأ لاستيعاب هؤلاء المهاجرين؛ مما نجمت عنه تحديات مختلفة على مستوى هذه المدينة.

وانطلاقا من ذلك، فإن مدينة بوتلميت تعاني من تحديات عديدة، نظرا لضعف تدخلات الدولة وضعف الإمكانات المرصودة لهذا المجال، من هنا تبرز الإشكالية الرئيسية لهذا المقال، والتي يمكن صياغتها من خلال السؤالين الإشكاليين التاليين: ما هو مسار الدينامية الحضرية في مدينة بوتلميت؟ وما المعوقات التي تعيق التنمية الترابية في هذا المجال؟

2. فرضيات الدراسة

تعد الفرضية من أهم عناصر البحث العلمي؛ إذ تقدم مجموعة من التوقعات التي تقدّم تفسيرات مؤقتة لإشكالية البحث، ومن أجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية سننطلق من الفرضيتين التاليتين:

- تطورت المجالات الحضرية دون أن يصاحب ذلك التطور عملية تهيئة ولم تُوضع لها مخططات عمرانية؛
- تتأثر مدينة بوتلميت بتحديات متعددة، الأمر الذي يؤثر على مؤشرات التنمية الترابية.

3. منهجية الدراسة

تختلف المناهج المتبعة في الدراسات الجغرافية والمعايير الإبستمولوجية التي تتأسس عليها، باختلاف الظاهرة أو الظواهر المعالجة، وقد نجم عن هذا الاختلاف من جهة، تعدد المناهج العلمية (المنهج الوصفي، المنهج التحليلي، المنهج الاستنباطي، المنهج الاستقرائي، المنهج التاريخي، المنهج التجريبي، المنهج الإحصائي...)، ومن جهة أخرى تتنوع الخطوات والأساليب والتقنيات التي تُوظف في المراحل المختلفة من طرق أو مناهج البحث.

وفي هذا السياق، فإن هذه الدراسة ستتم من خلال الاعتماد على المنهج العلمي الوصفي والتحليلي؛ الذي يستخدم في الغالب مقاربات جغرافية تهتم بالعلاقة بين الظواهر وتوزيعها المجالي وتطورها وتأثير بعضها على بعض، وكذلك الاهتمام بالبنيات والأشكال التي تتخذها تلك الظواهر في ظروف معينة. كما سيكون للمقاربات التاريخية والكمية والاجتماعية والاقتصادية حضور في مواقع مختلفة من هذا العمل.

4. المفاهيم المؤطرة للدراسة

تعد مرحلة تحديد المفاهيم من أهم مراحل البحث العلمي، والهدف من تحديد المفاهيم المؤطرة للدراسة تجنبا لأي التباس في الفهم، وسنقتصر على دراسة المفاهيم الآتية: الدينامية، المدينة، والتنمية الترابية.

- **مفهوم الدينامية**

إن مفهوم الدينامية مشتق من العلوم الفيزيائية ويقصد بها: "النشاط والحركة المستمرة والتطور". وقد أصبح هذا المفهوم متداولا في حقل العلوم الإنسانية عامة والجغرافيا الحضرية بصفة خاصة، والتي نجد أن الدينامية الحضرية فيها تشمل عدة أبعاد منها: أن الدينامية المجالية بمفهومها الواسع تعني كل تطور يهم المجال والبعد المجالي[1].

أما Paul Robert فيعتبر أن الدينامية كفرع ميكانيكي يهتم بدراسة العلاقات التفاعلية بين العناصر المحركة تحت قوة داخلية وأخرى خارجية[2]. كما يعرف الأستاذ المختار الأكحل الدينامية بأنها: "التحول والانتقال من حالة إلى أخرى في هيئة خطية أو دورية أو تصاعدية أو تراجعية؛ مما يقتضي مجالا يتحرك فيه وزمانا ينجز فيه ذلك التحول والانتقال؛ ومن ثم

[1]- البقالي العزيز، دينامية المشهد الحضري لمدينة وادي زم أشكال التحول والتمايزات المجالية، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب، 2012، ص: 24.

[2] -Paul Robert، le petit robert, dictionnaire de la langue française, première édition, France, 1967, P 28.

فإن الدينامية في العلوم الاجتماعية صيرورة لها بداية ومراحل تطور تعتبر الفترة الراهنة إحداها وتؤشر لتوجهات التطور المستقبلي[1].

وتنقسم الدينامية إلى دينامية حضرية ومجالية وترابية، وسنضرب الصفح هنا عن الصنفين الأخيرين ثم نعطي تعريفا للدينامية الحضرية؛ التي يرتبط مفهومها بالتحولات التي تعرفها المجالات الحضرية في بعدها الديمغرافي والعمراني، وتأثير ذلك على المجال في سياقه التاريخي والجغرافي؛ أي أن الدينامية الحضرية لها ارتباط وثيق بمكونات الظاهرة الحضرية سواء على المستوى الكمي أو الكيفي أو الإداري[2].

- **مفهوم المدينة**

عرّف ابن خلدون في مقدمته الشهيرة المدينة بأنها: "من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة". وفي اللغة فإن المدينة من الاستقرار، مدن: أقام، غير أن القرية من الاستقرار كما يقول عبد الله عطوي، ثم إن الأساس اللغوي للتمييز ما بين المدينة والريف لا يصلح لتحديد مصطلح المدينة بالنسبة للريف[3].

ويعرف علي لبيب وآخرون في قاموس الجغرافيا المدينة بأنها: "تجمع عمراني، مهيكل ومتجانس، يكون جماعيا مكونا وحدة حشرية، تكثر وتنتظم فيه المباني والمسالك، كما تزدحم فيه الحركة والأنشطة الحضرية كالتجارة والصناعة والخدمات الأخرى. عموما، فإن المدينة ظاهرة مركبة ومعقدة تتداخل فيها العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

[1]- المختار الأكحل، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية؛ هضبة بنسليمان، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2004، ص: 9.

[2]- الشويكي مصطفى، مستقبل الدار البيضاء بين تعدد النماذج ووحدة المشروع في أفق القرن الواحد والعشرين بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص: 58-60

[3]- أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، الطبعة 3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1985، ص: 11.

وفي هذا السياق، لم تعرف المدن الموريتانية في العهد الحديث تعريفا ثابتا، ذلك أن المتتبع للإحصاءات والمسوح التي قامت بها الدولة الموريتانية، والتي تمثل أهم المصادر لتحديد المراكز الحضرية في موريتانيا، يلاحظ من خلال هذه الإحصاءات أن هنالك شرطين أساسيين إذا توَفَّر أحدهما في أي تجمع سكاني اعتُبر ذلك التجمع حضريًّا، وهذان الشرطان هما:

- إذا بلغ عدد سكان التجمع 5000 نسمة فأكثر؛
- وإذا كان التجمع عاصمة لولاية أو مقاطعة تُقدِّم خدمات إدارية واقتصادية وثقافية وصحية (المعيار الإداري والتجهيزي والوظيفي).

وقد اعتبرت الدولة الموريتانية في الإحصاءين العامين للسكان والمساكن لسنة 1988 و2000 أن جميع المراكز الحضرية التي يبلغ عدد سكانها 5000 نسمة تعتبر مراكز حضرية، أما في الإحصاء العام للسكان والمساكن لسنة 2013، فقد اعتبرت الدولة الموريتانية أن كل عواصم المقاطعات مدُنا بغض النظر عن حجم سكانها، لكنها أبقت على المعيار العددي للسكان بالنسبة لباقي المستقرات البشرية.

إجمالا، فإن مختلف التعريفات التي عرفتها المدينة الموريتانية، تبقى جزئية وغير كافية من الناحية الجغرافية؛ ذلك أنها تخفي العديد من أبعاد تطور المدن، خصوصا وأن مفهوم المدينة يتطور باستمرار ويزداد تعقيدا يوما بعد يوم.

- **مفهوم التنمية الترابية**

يعد استخدام مفهوم التراب حديثا في المعاجم الجغرافية والاجتماعية وفي الكتابات العلمية الفرانكفونية؛ حيث نجد أنه لم يُستخدم بشكل رسمي إلا سنة 1982 ومنذ ذلك التاريخ تعددت استعمالاته ودلالاته. إن الاستعمال المتزايد لهذا المفهوم يقابله ضبابية في تعريفه وتحديده، على الرغم من أنه يعد من المفاهيم الأساسية في الجغرافيا الاجتماعية. وحسب عمر بالهادي فإن التراب هو: "ذلك المجال الممتلك والمشكل، وذلك المجال أين تظهر قوة ترابية تعقد وتحل[1]. كما يعرف جاك ليفي

[1]- Amar Belhedi, Repères pour l'analyse de l'espace, Centre des Etudes et des Recherches Économiques et Sociales, CERES, Cahiers du CERES, No 20, Tunis, 1998, p116 .

(Jacques Levy) التراب بأنه: "المجال الذي تتملكّه مجموعة بشرية بصفة شعورية، وما يمثله التراب بالنسبة للمجال شبيه بما يمثله الشعور بالانتماء الطبقي بالنسبة للطبقات الاجتماعية؛ التي تعتبره جزءًا من كيانها وتدافع عنه"[1].

ويعد التراب جزءًا من سطح الأرض ممتلكا من طرف مجموعة بشرية، يتشكل في المجال بناءً على مجموعة من التجهيزات والشبكات والمسالك المنجزة من طرف تلك المجموعة، وهو بذلك يتكون من مجموعة العلاقات الفردية والجماعية التي تريد استغلال إمكاناته الترابية بشكل يضمن استمراريته واستمرار المجموعة المالكة له[2].

وهكذا، يصبح التراب فضاءً للتفاعل الإيجابي بين مختلف الفاعلين، وبين مختلف الاستراتيجيات العمومية، وبين مختلف مستويات التدخل؛ وبالتالي يمكن اعتبار التراب عاملا من عوامل التغيير وإعادة البناء الاجتماعي في أفق إنجاز مشروع مجتمعي مستديم وشامل. وانطلاقا من ذلك، فإن التنمية الترابية تعني: تلك العمليات التي توحّد جهود الأهالي والفاعلين الترابيين لتحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمجموعة بشرية؛ أي أن التنمية الترابية نتاج تفاعل مجموعة مَّا مع ترابها عن طريق عملية تهيئة كبرى تسعى إلى استغلال موارده من أجل توفير احتياجاتها التي تخصها"[3].

- **تقديم مجال الدراسة**

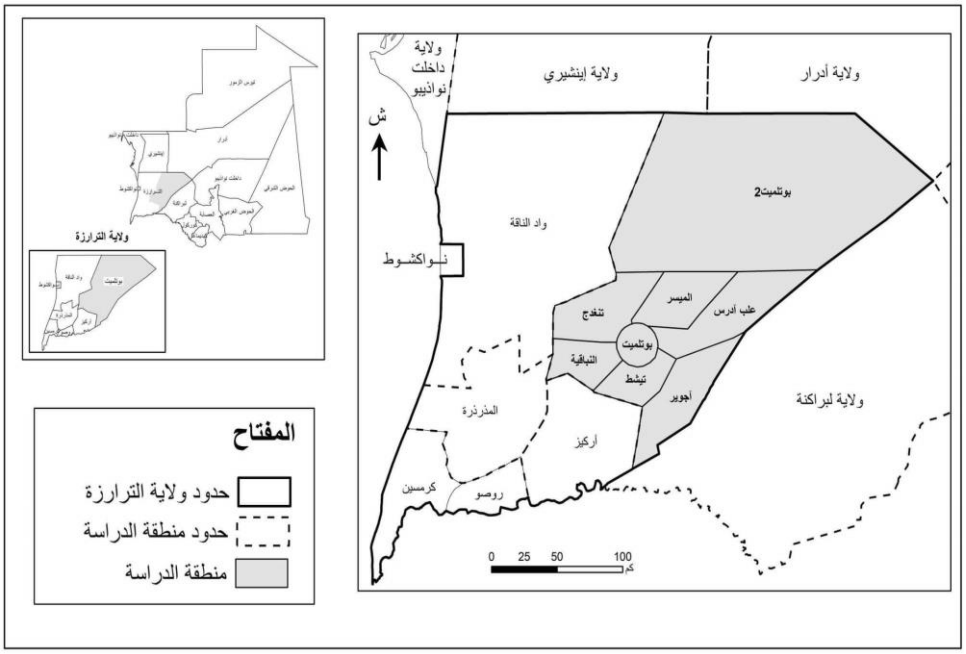
تشمل الدراسة المجال البوتلميتي؛ الذي يحتل الجزء الجنوبي الغربي من موريتانيا، ويقع من الناحية الفلكية بين دائرتي عرض °17 و°23 شمالا وبين خطي طول °13 و°23غربا، تحده من الشرق ولاية البراكنة ومن الجنوب والجنوب الغربي مقاطعتا اركيز والمذرذرة ومن الشمال الشرقي ولاية آدرار ومن الغرب مقاطعة واد الناقة (الخريطة: 1). تقدر مساحة هذا المجال ب 28400 كلم^2؛ أي ما تزيد نسبته على 41% من المساحة الكلية للترارزة البالغة 67800 كلم^2.

[1]- مراد بن جلول، حلقات تكوين مدرسة الدكتوراه بجامعة نواكشوط، م الملتقى التكويني الثاني، 23-24-2021/07/25، تونس، 2021، ص: 13.

[2]- زهير النامي، تيارات النقل بين المدن والأرياف وانعكاساتها على التنمية الترابية؛ حالة بعض الجماعات الترابية بإقليم قلعة السراغنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب، 2019، ص: 28-29.

[3]- Mohamed ould Cheick sid'Ahmed, Dynamiques et Aménagement d'une Petite ville Saharienne le cas de Tintane en Mauritanie, thèse pour le Doctorat de l'UGB de saint luis, Faculté de Lettres et Sciences Humaines Université Gaston Bergé de saint luis, 2014, P 15.

الخريطة (1): توطين مدينة بوتلميت ضمن المجال الموريتاني



المصدر: إنجاز شخصي بناء على مصادر متعددة

I.مسار التمدين في مدينة بوتلميت

سنتتبع في هذا المحور مسار التمدين في هذه المدينة بغية التعرف على الدينامية الحثيثة التي عرفتها هذه المدينة وما صاحبها من تحديات.

1-من البئر إلى القلعة

بحسب المراجع التاريخية وبعض الروايات الشفهية فإن الشيخ سيدي الكبير لما قدِم من حضرة أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بأزواد وبعد استقراره في قومه، أولاد أبييري، حوالي 1826 أو 1827م وتولّيه تدبير أمورهم كشيخ عام، همَّ بحفر بئر تكون نقطة تزود دائم بالماء للقوافل القادمة من "شمامه" والمتوجهة إلى "أمشتيل" و"آوكار"، فاستدعى شخصية مسنة ومُلمة بقضايا النزاعات على الأرض ونقاط المياه الموجودة في المنطقة، وهو الفقيه الجليل عبد الجليل ولد الناه وطلب منه أن يدلّه على موضع لا يدّعيه أحد ولم يتقدم له أي إحياء بأوجه من أوجه الإحياء المعروفة عند الفقهاء

من أي كان، فدلّه على موقع بوتلميت الحالي، فشرع تلاميذ الشيخ سيدي بالحفر في الوادي المذكور؛ الذي كان يسمى واد الفيلة[1].

ولم تعتمد نشأة مدينة بوتلميت على سكان موجودين في المكان، نظرا لأن المجال كان مجالا رعويا انتجاعيا من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال (رحلة الشتاء والصيف العادية)، وبالتالي عندما حدث الاستقرار واستمر في العهد الاستعماري بدأت مجموعات ليست من السكان الأصليين لبوتلميت بمعنى انتسابي قبَلي، لكنها مجموعة ارتبطت بقيام الإدارة الفرنسية، وقد شكلت هذه المجموعة النواة الثانية (الطارئة)، وليست لحواش القديمة التي تعتبر النواة الأولى لمدينة بوتلميت، والتي سيتراجع دورها وستحل محلها النواة الثانية "الدنكه" (العريش)؛ ولا يعني هذا انعداما كليا للنواة الأولى للمدينة (لحواش)، حيث أنها ظلت زمنا طويلا موجودة في المدينة، ولكن يعني انتقال الدور الأساسي لهذه النواة فقط مفسحةً المجال للنواة الثانية التي ستتشكل عليها لاحقا المدينة مع مطلع القرن العشرين؛ الذي ستشهد المدينة منذ منتصفه دينامية سريعة بسبب الاستعمار الفرنسي وما شيده من مرافق في مدينة بوتلميت.

ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن مدينة بوتلميت نشأت من المهاجرين، نظرا لأن من قدِم على الشيخ سيدي لم يكن موجودا عند التأسيس عكس بعض المدن التي كان يوجد بها سكان أصليون وأُنشِئت مستقرات كان هم سكانها الأصليين، وهذا لم يقع في مدينة بوتلميت التي أُنشئت في مجال رعوي مفتوح كما ذكرنا آنفا. وبسبب تأسيس الشيخ سيدي لحضرته التي تعتبر أول حاضرة في الجنوب الموريتاني ذات أبعاد صوفية، فقد أصبحت مدينة بوتلميت معلمة وقبلة لأعداد معتبرة قادمة من شتى أنحاء موريتانيا.

وفي هذا السياق، فقد شهدت المدينة هجرة انتقائية تمثلت في وفود رموز دينية وسياسية بعضهم كانت هجرته مؤقتة وبعضهم استوطن مدينة بوتلميت. عموما، فقد ظلت هنالك هجرات انتقائية شملت مجموعة من القبائل سواء تلك التي

[1]- أحمد ولد المصطف، المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة بوتلميت من 1854 إلى 1932، ط1، مطبعة المنار، موريتانيا، 2017، ص: 200.

وفَدت في عهد الشيخ سيدي أو التي وفدت مع الشيخ سيدي باب إبان قدومه من آدرار. وقد ساهمت هذه الأسر بشكل ملحوظ مع الوقت في تغيير خريطة بوتلميت الاجتماعية والديموغرافية؛ ذلك أنها زادت من عدد سكان المدينة التي لم تكن حينها إلا قرية صغيرة يسكنها عدد قليل من السكان.

جدير بالذكر أن اللوحة الحالية للمدينة لا تفسر ماضيها لا من حيث العدد ولا من حيث تركيبة السكان.

2-من القلعة إلى العاصمة الموريتانية

في شهر أغسطس سنة 1904م كلّف كبولاني النقيب "كالاه" (Kaland) بإنشاء مركز بوتلميت لحماية الشيخ سيدي ووُكلت تلك الحماية لجزء من الحامية التي كانت عند "سهوت الماء".

ثم ما لبث "گزافيي كبولاني" أن وصل إلى بوتلميت قادما من جهة الركيز وتحديدا "سهوة الماء" ومعه عدد من العساكر والأمراء والأعيان وقام بوضع الحجر الأساس للحامية العسكرية التي ستكون في مدينة بوتلميت[1].

وفي هذا السياق، فقد جاء من بعد كبولاني النقيب "افرير جاه" ومكث مدة في بوتلميت وشرع في بناء الدُّور التي تقع أطلالها على الكثيب "الغربي"، وتعد هذه الدور ثاني دار بعد دار الشيخ سيدي التي شيدها بعد حفره لبئر بوتلميت، وقد بُنيت هذه الدور من الطين وكانت طبقات و"ابلوكات"، وقد كان يسمون تلك الدور التي بناها المحتل الفرنسي بدور النصارى أي الفرنسيين.

وهكذا، عمل الشيخ سيدي باب على جعل مدينة بوتلميت (القرية حينها) حاضرة ومركزا للثقافة العربية في البلد خلال تلك الفترة؛ حيث مثلت المحضرة في هذه المدينة عنصر استقطاب وجذب هامين لطلاب المحاظر، الذين غالبا ما يستقر العديد منهم في هذه المدينة.

[1]- الرائد جولييه، التوغل في موريتانيا، اكتشافات، غزو (تعريب محمدن ولد حمينا)، ط1، دار الضياء، الكويت، 2007، ص: 133.

عموما، فقد ساندت السلطات الفرنسية النهج الذي انتهجه الشيخ سيدي باب في تنمية مدينة بوتلميت، حيث شيدت بعض المنشآت، لاحقا، كالمستوصف الصحي الصغير الذي بنته ابتداءً من سنة 1930، والمدارس الابتدائية التي بدأت مع مطلع القرن العشرين؛ وقد مثلت المرافق التي بناها الفرنسيون النواة الحضرية الأولى لمدينة بوتلميت، التي ستعرف مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات دينامية مجالية حثيثة.

3-من العاصمة الموريتانية إلى اليوم

لقد أصبحت مدينة بوتلميت، بحكم نشأتها الثقافية، عاصمة لموريتانيا مع مطلع القرن 20، حيث كان للإشعاع الثقافي (المحظري) الذي بُنيتْ على أساسه دور كبير في تطورها واستمرارها وتطعيمها بأعداد من السكان خاصة في بيئة طبيعية قاسية تتسم بشحّ الموارد؛ وهو ما ساهم في نمو وتوسع مدينة بوتلميت؛ التي كان للزاوية الصوفية فيها حضور قوي بارز مكّن من انتشار التعليم التقليدي (المحضري) الذي يستقطب العديد من طلاب المحاظر المحليين أو القادمين من دول مختلفة أحيانا.

وهكذا، فقد شُيدت مدينة بوتلميت، كما ذكرنا آنفا سنة 1826 أو 1827م، على يد الشيخ سيدي الكبير، وبدأت تنمو في عهد حفيده الشيخ سيدي باب، كما عرفت توسعا ملحوظا في حقبة الشيخ عبد اللهبن الشيخ سيدي باب؛ الذي وقع اتفاقيات صلح مع المحتل الفرنسي، كان من نتائجها: بناء الفرنسيين أول مدرسة للتعليم النظامي في المجال الموريتاني عامة وبوتلميت خاصة، والمتمثلة في المدرسة رقم 1 التي بُنيتْ سنة 1914م، وقد تخرّج من هذه المدرسة عدد كبير من أعيان موريتانيا ومعظم جيل التأسيس من بينهم: مؤسس الدولة الموريتانية الرئيس المختار ولد داداه وحمدي ولد مكناس، والشيخ ولد محمد لغظف.. وغيرهم من الشخصيات التي أشرفت على تأسيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

كما بنى الفرنسيون في مدينة بوتلميت أول مدرسة للبنات في موريتانيا، والتي تسمى حاليا ب "مدرسة بوتلميت رقم 3.

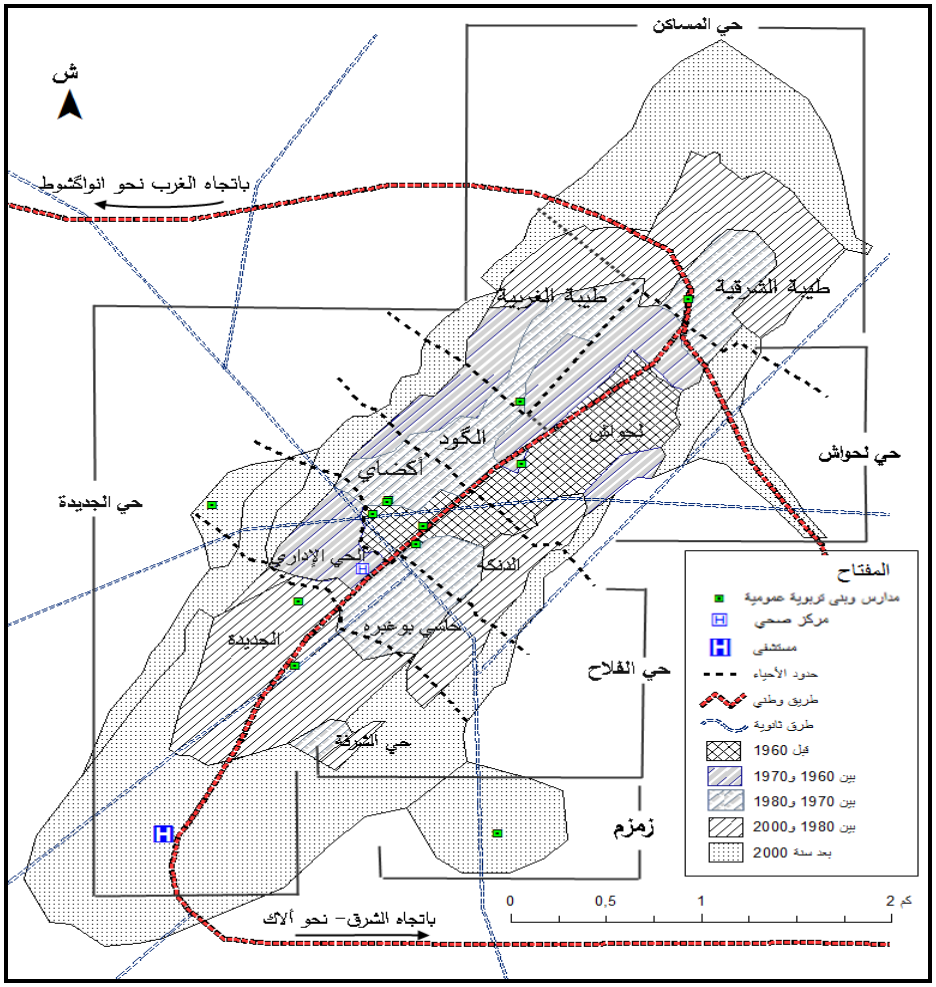
ومع مطلع 1955م أسّس الفرنسيون بالتعاون مع السيد عبد الله بن الشيخ سيدي باب المعهد الوطني للدراسات الإسلامية العليا ببوتلميت، وقد أشرف الرئيس الفرنسي السابق "شارل ديغول" على تدشين هذا المعهد سنة 1957م أثناء زيارته لموريتانيا. وقد انتدب للتدريس في المعهد خيرة أساتذة المنطقة، ولم تمر سنتان حتى أقبل الطلبة من المحيط القريب ثم من مناطق موريتانيا المختلفة ومن الأقاليم الإفريقية المجاورة حتى اكتظ المعهد بالطلاب الوافدين؛ فبحلول منتصف ديسمبر 1953 كان عدد طلاب المعهد 32 طالبا من بينهم اثنان من غينيا بيساو وسينغاليان والبقية موريتانيون، وفي سنة 1954 بلغ عدد الطلاب بالمعهد 45 من ضمنهم بعض الغامبيين والغينيين، ولم تطلع سنة 1957 حتى بلغ عدد طلاب المعهد 305 طالبا.

وقد تمكن هذا المعهد منذ إنشائه في منتصف خمسينيات القرن الماضي من تخريج دفعات كبيرة من الأطر النوعية في كل المجالات التخصصية ومن كل جهات ومناطق الوطن استطاعوا بسهولة دخول الحياة النشطة، وساهموا في بناء وتطوير الدولة الموريتانية، وتقلد الكثيرون منهم مناصب سامية.

وهكذا، فقد عرفت مدينة بوتلميت توسعا مجاليا ملحوظا بسبب هذه الظروف وما نجم عنها من جاذبية للسكان، وهو ما أدى إلى اتساع الأحياء القديمة فيها، وظهور أحياء جديدة.

عموما، تضم مدينة بوتلميت في الوقت الحالي أربعة أحياء سكنية كبيرة، (ولد محمد عبد الله، 2013، ص 208) تمتد على طول طريق الأمل؛ الذي يشكل الحيز المجالي لهذه المدينة (الخريطة: 2)، وهذه الأحياء هي: حي الجديدة، حي المساكن، حي لحواش، وحي الفلاح. إجمالا، فإن المتتبع لظهور هذه الأحياء ومراحل توسعها يجد أن الغالبية منها ظهرت بعد حصول البلاد على الاستقلال؛ حيث أن المدينة كانت في تلك الفترة تتكوّن من مبانٍ قليلة.

الخريطة (2): أحياء مدينة بوتلميت ومراحل توسعها المجالي



المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على مصادر متنوعة، منها: صورة جوية لغوغل إرث، إضافة إلى محمد المامي ولد محمد عبد الله محمد المامي، حركية التمدين وانعكاساتها على المجال والمجتمع في ولاية الترارزة (موريتانيا)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، المغرب، 2013، ص: 210.

II. التحديات التي تواجه التنمية الترابية لمدينة بوتلميت

سنعالج في هذا المحور مختلف التحديات التي تعيق التنمية التربية في هذا المجال، نظرا لتأثيراتها المختلفة على السكان الذين يقطنون ويمارسون حياتهم الاقتصادية والاجتماعية بما يتناسب مع إمكاناتهم المادية. وفي هذا الصدد تعاني مدينة بوتلميت من عدة تحديات، أبرزها:

1. عدم تنفيذ جزئيات المخطط العمراني

إن النمو الحضري الذي عرفته مدينة بوتلميت، والذي لعبت فيه الهجرة من الأرياف نحو المدينة والزيادة الطبيعية للسكان دورا كبيرا، تمّ دون تخطيط حضري سابق، وهو ما أدى إلى توسع سكني غير مدروس ممتد في جميع الاتجاهات وساهم في تضاعف مساحة المدينة دون مراعاة عنصر التخطيط. وفي هذا السياق، فإنه من المنتظر أن تستفيد مدينة بوتلميت في إطار عملية التهيئة الحضرية من مشروع يرمي إلى عصرنة وتوسعة المدينة، وهو ما سيكون له وقع مهم على تحسين المشهد الحضري، والحد من مشاكل النمو العشوائي المتسارع الذي تعرفه هذه المدينة.

يندرج المشروع، المشار إليه آنفا والموسوم ب "بوتلميت مدينة جديدة" (Boutilimitt Ville Nouvelle)، ضمن مشاريع كبرى كانت قطر قد برمجتها وعملت على تنفيذها بالتعاون مع موريتانيا بغية عصرنة وتوسيع مدينة بوتلميت، وقد أنجز المخطط العمراني لعصرنة وتوسيع مدينة بوتلميت من طرف مكتب "إيفواري"، تابع لمشروع الأميرة القطرية "موزه". وأخيرا، فقد اشتمل المخطط العمراني للمدينة على المباني الإدارية التي شُيد منها حتى الساعة منزل للحاكم ومقر له ومقر للأمين العام للمقاطعة، علاوة على دار الشباب، ثم تشييد طريق يربط مقر الحاكم والأمين العام للمقاطعة، غير أن المرفقات الجمعوية والتعليمية لم تبنَ حتى الآن.

2. طبيعة الموضع: ترمل متفاقم خارج عن السيطرة

لقد أسهم عدم ملاءمة ظروف الموضع الذي شيدت عليه مدينة بوتلميت في تفاقم المشكلات البيئية التي آذتها منذ نشأتها، حيث ظلت الكثبان الرملية المتنقلة تطوّق المدينة شرقا وغربا؛ وهو ما جعلها تتوسع في الجهات المنخفضة؛ وقد أثّر هذا التركز السكاني في جهة معينة على شكل المدينة الخارجي بحيث أصبحت تنمو طوليا.

ويواجه السكان في هذه المدينة تحديا كبيرا يكْمن في تفاقم مشكلة الترمل (الصورة: 1)، حيث استولت الرمال الزاحفة على مساكنَ عديدة وأجبرت أهلها على هجر بيوتهم، علاوة على أن هذه الرمال تصعّب من عملية النقل داخل المدينة

خاصة إذا كانت وسيلة النقل بدائية مثل: العربات التي تجرها الحمير، وهي الوسيلة المستخدمة بشكل كبير لدى ساكني أطراف المدينة.

الصورة (1): تأثير الكثبان الرملية على الجانب الشمالي لمدينة بوتلميت



المصدر: عدسة الباحث، 2024.

3. غياب بنى تحتية أساسية في مجال الصرف الصحي

إن التطورات الديموغرافية والمكانية التي عرفتها مدينة بوتلميت حدثت في ظل غياب تام لشبكة صرف صحي. وفي هذا الصدد تشهد مدينة بوتلميت في فصل الخريف هطول أمطار هامة، فقد عبّر لنا السكان الذين التقيناهم خلال الفيضانات التي حدثت في العام 2020 عن استيائهم من عدم حل السلطات العمومية للمشكل المذكور؛ حيث روَت لنا إحدى السيدات التي التقينا أنها: "أصبحت هي وعائلتها مشردين جراء الأضرار التي ألحقتها بهم الأمطار؛ التي نجم عنها دخول المياه لمنزلهم، وهو ما جعلهم يهجرونه ويسكنون مع أقاربهم حتى ينخفض مستوى المياه.

ليست حالة هذه المرأة حالة شاذة بل يوجد المئات الذين هم في وضعيتها والذين يعانون من هذه المشكلة المستفحلة؛ حيث تعاني الفئات الغنية التي تعيش في مساكنَ فخمة والفئات الفقيرة التي تسكن في مساكن تقليدية أو دور موريتانية من

هذه المشكلة. وقد أصبح ركود المياه في الأحياء وعسر حركة التنقل ودخول المياه للمنازل والمحلات التجارية ظاهرة عادية تشهدها مدينة بوتلميت كل فصل خريف (الصورة: 2).

الصورة (1): محاصرة مياه الأمطار لإحدى أسر المدينة خريف 2023



المصدر: عدسة الباحث، 2023

4. انتشار النفايات الصلبة

تتسم المجتمعات الحديثة بأنماط من الاستهلاك الزائد ولا يتوقف ذلك على الدول الغنية فقط بل يمتد إلى كثير من الدول النامية التي يزيد استهلاكها على إنتاجها فيختل بذلك ميزانها الاقتصادي، ويصاحب هذه الزيادة الهائلة في الاستهلاك زيادة مطردة في حجم المخلفات التي ينبغي التخلص منها كل يوم خصوصا في المدن المزدحمة بالسكان مثل مدينة بوتلميت. وتمثل هذه المخلفات عبئا كبيرا على كاهل القائمين على نظافة هذه المدن، فهذه المخلفات يجب التخلص منها يوميا حرصا على الصحة العامة، ولو تركت هذه المخلفات معرضة للهواء لَنمت عليها البكتيريا والحشرات ولَتعفّنت المواد العضوية الموجودة فيها؛ مما يؤدي إلى انتشار الروائح الكريهة والأمراض.

الصورة (3): انتشار النفايات الصلبة بمجال الدراسة



المصدر: عدسة الباحث، 2023

خاتمة:

لقد تبيّن من خلال تتبعنا لمسار الدينامية الحضرية لمدينة بوتلميت أن هنالك معوقات تعيق التنمية الترابية على مستوى هذه المدينة؛ التي شهدت نموا ديموغرافيا سريعا خلال فترة زمنية وجيزة، بسبب نزوح السكان إليها من الأرياف بسبب الجفاف الذي ضرب البلاد في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم؛ حيث نزحت إليها أعداد كبيرة من سكان الأرياف دون أن تكون المدينة مؤهلة لاستقبالهم من حيث الخدمات المختلفة؛ وهو ما نتج عنه ظهور عديد المشكلات المتمثلة بجلاء في مجال السكن العشوائي والتمدد الفوضوي للمجال الحضري وانعدام مخطط للمدينة واضح المعالم، وغياب بنى تحتية أساسية في مجال الصرف الصحي، إضافة إلى مشكلات الضغط على المرافق العمومية وتزايد أعداد العاطلين ومشكلة النفايات والترمل المتفاقم..

وفي هذا السياق، فإن المشاريع التي نُفذت من طرف الفاعلين على مستوى مدينة بوتلميت لمكافحة التحديات التي تهدد مدينة بوتلميت، لم تفلح في الحد من هذه التحديات؛ وهو ما يتطلب:

- ✓ إشراك السكان في عملية تهيئة وتنمية مدينة بوتلميت من أجل بناء استراتيجية شمولية ومتناسقة تتجاوز الإكراهات والإخفاقات السابقة؛
- ✓ مكافحة زحف الرمال على المدينة حتى يتسنى لها الامتداد في جميع الاتجاهات؛
- ✓ جلب الاستثمارات للمدينة خاصة المشاريع الداعمة للتنمية من أجل خلق فرص جديدة للعمل.

لائحة المصادر والمراجع

- أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، الطبعة 3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1985.
- جولييه الرائد، التوغل في موريتانيا، اكتشافات، غزو (تعريب محمدن ولد حمينا)، ط1، دار الضياء، الكويت، 2007.
- زهير النامي، تيارات النقل بين المدن والأرياف وانعكاساتها على التنمية الترابية؛ حالة بعض الجماعات الترابية بإقليم قلعة السراغنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب، 2019.
- العزيز البقالي، دينامية المشهد الحضري لمدينة وادي زم أشكال التحول والتمايزات المجالية، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب، 2012.
- المختار الأكحل، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية؛ هضبة بنسليمان، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2004.
- مراد بن جلول، حلقات تكوين مدرسة الدكتوراه بجامعة نواكشوط، م الملتقى التكويني الثاني، 23-24-2021/07/25، تونس، 2021

- مصطفى الشويكي، مستقبل الدار البيضاء بين تعدد النماذج ووحدة المشروع في أفق القرن الواحد والعشرين بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- ولد المصطف أحمد، المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة بوتلميت من 1854 إلى 1932، ط1، مطبعة المنار، موريتانيا، 2017.
- ولد محمد عبد الله محمد المامي، حركية التمدين وانعكاساتها على المجال والمجتمع في ولاية الترارزة (موريتانيا)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، المغرب، 2013.
- Amar Belhedi, Repères pour l'analyse de l'espace, Centre des Etudes et des Recherches Économiques et Sociales, CERES, Cahiers du CERES, No 20, Tunis, 1998.
- Mohamed ould Cheick sid'Ahmed, Dynamiques et Aménagement d'une Petite ville Saharienne le cas de Tintane en Mauritanie, thèse pour le Doctorat de l'UGB de saint luis, Faculté de Lettres et Sciences Humaines Université Gaston Bergé de saint luis, 2014.
- Paul Robert, le petit robert, dictionnaire de la langue française, première édition, France, 1967.